

الباطل منها فإن لذلك لساناً خاصاً يقوم به. ونحن لا ننكر أن الشاعر يجب الحقيقة فإن الحقيقة في ذاتها محبة إلى كل نفس ولها سلطان على كل قلب لا يمكن أحداً أن يجحده، ولكننا نقول إننا لا نريد من الشاعر بيان الحقائق، وإنما نريد منه أن يحدثنا عن الجمال المستتر في الكون وأن يتمثل الموسيقى التي تؤلف بين أجزائه ووحداته. وينبغي أن ننبه إلى أن الشاعر يعرف الحقيقة معرفة أخرى غير المعرفة التي يعرفها الرياضي والرجل العادي، وكأني بالشعر ينظر إلى الأشياء من جهة خاصة به، وينظر إليها العلم من جهة ثانية، والدين ينظر إليها من جهة ثالثة، وقد ينظر إليها الشعور العام من جهة رابعة. أما هؤلاء الذين ينطقون عجباً قائلين أى حق هذا؟ بينما يقرءون شعر الشاعر إنما هم لا يعرفون كيف يستفيدون من الفن الاستفادة الصحيحة ولا ينتفعون به حق الانتفاع، وهم يضيعون أوقاتهم من حيث لا يشعرون، وإلا لو كان الأمر كما يظنون لانقلب الشعر إلى صور من الحجب والبراهين. على أن الحقيقة الواحدة قد تتبدل من حين لآخر أمام الشاعر الواحد، ويتبين هذا في أننا نلاحظ أن الشاعر المحب إذا كان مسروراً هس للطبيعة وبش للسماء، وتخيل كأن كل شيء يحدثه ويضاحكه، فالريح تسر إليه باسم حبيبته، والنجوم ترنو إليه بعين الحنان والعطف، وكل شيء في الطبيعة يداعبه، أما إذا كان محزوناً فإن هذه الحقائق والأخيلة تتغير في رأيه وتختلف في نفسه، فالريح تسخر من تأوهات، والنجوم القاسية تنظر إليه شراً في غير تقدير ولا عناية، وكل شيء حوله مغاضب له ساخط عليه.

قد يقول قائل: إن الشعر يقوى ويوضح الإحساسات ويوسع الخيال، ونحن نوافق على ذلك ونزيد أن الشعر قد يعمل على تنظيم ما يضطرب في عقول الآخرين، وإنه قد يوقظ العقل ويوسعه بتنمية الإحساسات وكثرة الأفكار التي يلقيها إليه، ولكننا ننكر أن هذه هي غايته السامية، فليست رسالة الشعر هي التثقيف كما قال هوراس، فالتثقيف أداة خاصة به والشعر لا يزاحمه فيها، وما جاء من ذلك إنما أتى عن طريق غير مباشر في عرض الرسالة وأدائها. ولعل أعظم برهان على ذلك أننا لا نسمع لشعر الشاعر ولا لغنائه لأنه أكثر تفكيراً،